رجل العرب

عندما يتكلم التاريخ تبرز الوقائع والاعمال والوجوه بصورها الحقيقية ••

ومن التاريخ نستخلص ان العرب امة مرت بكل ادوار النشوء والارتقاء والانحدار • وعظمتها في الانتصارات العظيمة التي صنعت تاريخا حافلا تميز بابطال انجبتهم جزيرة العرب •

هناك في التاريخ القديم اربعة انتصارات رفعت امة العرب الى قمة المجد حيث سادت سبعة قرون امتدت الى اواخر القرن الثالث عشر الميلادي •

وهناك انتصاران عظيمان في التاريخ الحديث الاول تمثل بتوحيد الجزيرة العربية حققه اسد الصحراء الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله ، والانتصار الثاني حققه البطل الشهيد الملك فيصل بن عبد العزيز قائد معركة القرن العشرين في الستينات حيث تغلب على القوى الكاسحة وتياراتها الرهيبة التي اجتاحت العالم العربي وكادت تقضي على ذاتية الامة وشخصيتها وخصائصها المستمدة من تراثها الحضاري ورسالتها الاسلامية • وهذا الانتصار الحاسم غير مجرى التاريخ في الشرق حيث الاوضاع تبدلت واستيقظ الانسان العربي بعد مرحلة من التجارب الفاشلة ، واصبح يؤمن بنظرية التحول المستمد من واقع الامة وخصائصها الذاتية • تلك استراتيجية رجل التاريخ الفيصل الذي نقل العرب من طور التفكك الى التضامن ومن طور الاتكال الى العمل ••

الدكتور / ابراهيم الشريقي

في القرن العشرين

المتتبع لسير التطورات في الشرق الاوسط خلال ربع القرن الاخير يدرك ان انتقالية السياسة العربية على الطريق الصحيح بدات حديثا وبالتحديد منذ ان اخذت المملكة العربية السعودية تلعب دورا قياديا على مستوى رسالة الامة والقضية العربية الكبرى التي عايشها الفيصل منذ ظهورها وجند لها امكانيات المملكة .. وكان جلالته يدرك ابعاد خطر الغزو الصهيوني على الشرق وخطر التيارات الفكرية الهدامة التي ساعدت الصهيونية على ترسيخ اقدامها في فلسطين . ومن هنا كان الفيصل ينظر الى الصراع مع الصهيونية من زاوية التاريخ والواقع ومصير المنطقة العربية السياسي والاجتماعى والاقتصادي . وانطلاقا من الواقع رسم للقضية العربية طريقها الصحيح وحدد نوع السلاح لمواجهة الغزاة وانقاذ الامة العربية من المآسي والمحن .

والثابت ان ما تحقق في السبعينا توللمرة الاولى في التاريخ الحديث من انتصارات سياسية ومعنوية وصمود كان الفضل لسلاح الآخاء والتضامن ومعه سلاح البترول بقيادة الملك الحكيم الذي لولاه لكانت حرب رمضان ـ تشرين ١٩٧٣ تحولت الى كارثة اشد هولا من كارثة حرب حزيران ١٩٦٧ . ذلك ما يقوله التاريخ المعاصر للعرب وللاجيال العربية الصاعدة والقادمة .

الواقع ان ما نشاهده اليوم من تحولات عززت مكانة العرب يعتبر من معطيات الانتقالية العربية المتحركة بالقوى الروحية والفكربة والتاريخية من قلب الجزيرة العربية . هذه الانتقالية فرضت وجودها كقوة سياسية وقوة اقتصادية لها وزنها في المجتمع الدولي . وعن طريق الحوار السياسي الرزين مع عالم الغرب جعلته يسير باتجاه يتجاوب مع الحق العربى والقضية العربية العادلة ـ قضية فلسطين .

اجل ان الحوار السياسي على المستوى الرفيع المقترن بالمعرفة والحكمة والقدرة في التوجيه والاقناع و السلاح الذي يصحح النظريات الخاطئة والاحكام الملتوية ، ويضمن استمرار الروابط بين الشعوب ويعزز الصلات بينها . ذلك هو السلاح الذي استخدمه المغفور له فيصل العظيم في حواره مع دول عالم الغرب حيث توصل الى اقناع فرنسا اولا ثم المجموعة الاوروبية واميركا بصواب فكرته القائلة : ان مصالح عالم الغرب مع العالم العربي حيوية . والعرب لا يطلبون من اوروبا واميركا سوى دعم الحق والوقوف الى جانبه . وعلى اعادة حقوق العرب وانهاء الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية يتوقف اعادة السلام الى الشرق الاوسط حيث المصالح والروابط مع عالم الغرب تقضي بان يتحرك بالاتجاه الصحيح ليتحقق السلام العادل الذي تنشده شعوب المنطقة .

ومع التاريخ المعاصر الذي نكتب صفحاته نقول : ان ما عجزت السياسة العربية خلال ربع قرن لكسب دعم عالم الغرب او على الاقل تحويل سياسة دولة من دوله ازاء القضية العربية قد حققه الملك الراحل فيصل العرب في حواره البناء مع كبار زعماء الغرب .. وعندما نبحث بدقة وامعان عن السر في نجاح استراتيجيته نجده في سياسة بعد النظر وقوة الارادة والحكمة والصبر .. هذه المزايا مجتمعة تشكل مدرسة قيادة الرجل العظيم الذى نجح على الصعيد الدولي بفرض كلمة الحق وتحويل الخط السياسي للدول المتعاطفة مع اسرائيل الى جانب قضية العرب العادلة .

وكان بين الشخصيتين التاريخيتين الملك فيصل والجنرال ديغول تقارب وتجاوب في النظريات والمواقف . وقد اجتمعا في باريس في ٢ حزيران ١٩٦٧ حيث استعرضا الوضع المتدهور في الشرق الاوسط . وكان هذا اللقاء الاول نقطة تحول في سياسة فرنسا وانعطافها تجاه العرب ودعمها للحق العربي . وقد دون الجنرال ديغول في (مفكرته اليومية) انطباعاته عن اللقاء مع جلالة الفيصل اطلع عليها اندريه مالرو الكاتب الكبير ووزير الثقافة (آنذاك) ، وخلاصة مادونه : ان العاهل السعودي شخصية فذة يقيس الامور بمقياس المعرفة والخبرة . اطلعت من خلال الحوار مع جلالته على جذور القضية العربية التي يدافع عنها من زاوية التاريخ ومصير شعب من بلاده فلسطين . القضية عقدتها مسرحيات هيئة الامم وزادها تعقيدا الصراع الروسي ـ الاميركي في الشرق الاوسط . وعلى اساس التجارب مع منطق الحق نعيد تقييم سياسة فرنسا في الشرق الذي تربطنا به روابط تاريخية ومصالح حيوية .

حقا ان عظمة التاريخ الاسلامي التي تمثلت بشخصية الملك العربي الراحل هي التي اثارت اهتمام اوروبا وجعلت دولها تعيد مواقفها من القضية العربية . ويجدر ان نشير الى ما قاله الرئيس بومبيدو عندما زار الملك فيصل فرنسا في ايار ١٩٧٣ حيث استقبل استقبالا فخما قلما شهدت مثله باريس . وفي الكلمة التاريخية التي القاها الرئيس الفرنسى امام جلالته قال : (انكم يا صاحب الجلالة تمثلون ارقى قيم

رسالة الاسلام وحضارته ٠ وبفضل قيادتكم المثالية ارتقت المملكة واصبحت تلعب دورا محترما في العالم ٠ وان سياستكم تيسر احلال السلام المنشود الذي تصبو اليه شعوب الشرق الاوسط المصابة بالمحن بل وكافة الشعوب تتساوى في التطلع الى السلام كما ان روابطنا وتفاهمنا المتواصل يساهم بفضل قيمنا المشتركة في اقامة السلام والعدل ٠)

بشهادة التاريخ ان الفيصل من اعظم الشخصيات التي ظهرت في الشرق منذ قرون ٠٠وبشهادة التاريخ ان الغرب قبل الشرق بثلاثين سنة اكتشف عبقرية الفيصل واجلة ٠٠ وقد برز في المحافل الدولية والمؤتمرات العالمية قبل ان يتالق ملكا ويصبح رجل العرب خلال العشر السنوات الاخيرة ٠ هناك نصف قرن من حياة زعيم عظيم فوق الزعامات التي عرفها الشرق العربي ٠ وسوف يحتاج العرب الى المزيد من البحث والتدقيق لاكتشاف ما خلفه من مآثر وما تجمعت في شخصيته الفذة من مواهب وكفاءات ٠٠

لقد عرفت الفيصل اميرا ٠٠ وعرفته ملكا ٠٠

عرفت الفيصل الانسان منذ مولد الجامعة العربية التي برزت الى الوجود بعد ان وقعت الدول العربية السبع بروتوكول الاسكندرية عام ١٩٤٦ ٠ وكان اقطاب العرب من الرعيل الاول السادة عبد الرحمن عزام ومصطفى النحاس وشكري القوتلي وسعد الله الجابري وجميل مردم وفارس الخوري ورياض الصلح وتوفيق السويدي وكميل شمعون يتطلعون الى فيصل الامير من خلال مواقفه السياسية التي استحوذت على اعجابهم وتقديرهم ٠ وكان الاستاذ عبد الرحمن عزام الامين العام للجامعة العربية يقول لاصدقائه السياسيين : وجود الامير فيصل معنا يساعد على تخطي المشاحنات وضمانة لنجاح جلسات الجامعة العربية ٠ الواقع ان الجامعة العربية مرت بظروف حرجة وازمات كان الفضل للفيصل رحمه الله بالتعاون مع عبد الرحمن عزام بانتشالها واستمرار سيرها ٠

هناك مواقف حازمة للملك العربي الراحل في المؤتمرات الدولية والمحادثات مع زعماء الدول الكبرى ٠ ففي مؤتمر لندن عام ١٩٤٦ لحل القضية الفلسطينية اتسم موقف الفيصل بالواقعية وبعد النظر ، فقال للمستر بيفن وزير خارجية بريطانيا : (حل قضية فلسطين لن يكون في هيئة الامم ٠ واذا انتقلت الى منابرها يصبح حلها مستحيلا ٠ وعليه نطالب بريطانيا ان تتعاون مع الجامعة العربية للخروج بحل عادل يضمن للمنطقة امنها واستقرارها ٠ كما اعلن الفيصل في المؤتمر عن عزم المملكة ومعها جميع العرب في سائر اقطارهم الاحتفاظ بعروبة فلسطين ورفض كل مشروع يكرس الوجود الصهيوني في فلسطين العربية ٠)

وقد صدق ما قاله جلالته قبل ٢٩ سنة فالقضية في هيئة الامم لم تحل ، وفي المنظمة العالمية لعبت المؤامرات دورا خطيرا ادى الى التقسيم وصراع دام في المنطقة التي انتكبت بالغزو الصهيوني ٠

وفي المحادثات مع الرئيس الامريكي ايزنهاور في واشنطن ـ اذار ١٩٥٣ قال الفيصل كما ورد في الوثائق الامريكية : العرب ينتظرون من امريكا الديمقراطية الدفاع عن الحق وهذا ما يساعد على توثيق علاقاتها مع العالم العربي ٠ ولكي تنفرج الازمة في منطقة الشرق الاوسط وتستقر الاوضاع فيها ينبغي الاسراع باعادة الشعب الفلسطيني المشرد الى ارضه ووطنه ٠ وحول موضوع التعاون مع العرب الذي اشار اليه الرئيس الامريكي لحماية المنطقة من الخطر الشيوعي قال جلالة الفيصل :

الشيوعية لن تجد مكانا لها في المنطقة اذا حلت الازمة التي تشكل خطرا على مستقبل المنطقة • والواقع كما قال جلالته الى الرئيس ايزنهاور قبل ٢٢ سنة ان استقرار الوضع في المنطقة وانهاء الصراع واعادة الطمانينة والثقة يتوقف على حل القضية الفلسطينية حلا جذريا ••

وعندما وقعت حرب اليمن في ايلول ١٩٦٢ كان الملك فيصل (الامير انئذ) في نيويورك ، فذهب الى واشنطن لمقابلة وزير خارجية امريكا (دين راسك) وقال للمسؤولين الامريكيين : ان احداث اليمن الدامية تشكل خطرا على امن الجزيرة العربية كما ان تدخل القوى الخارجية يحول اليمن الى مسرح للمجازر وحرب طويلة الامد وعلى امريكا ان تنظر الى الوضع بجدية •• وكان محقا في حكمه وحازما في موقفه الذي تمثل بتأييد حق الشعب اليمني في تقرير مصيره بحرية •• هذا الحق أيده الفيصل تاييدا كليا ، وكان الوحيد بين الساسة العرب في معركة الحق ••

فيصل العرب عرفه الغرب قبل الشرق•• وقد لقبه اعلام الفكر في اوروبا الغربية برجل السلام قبل عشرة اعوام مضت • ففي شهر ديسمبر ـ كانون الأول عام ١٩٦٥ اجتمع روساء كليات جامعة برن السويسرية بعد المحاضرة التي القيتها عن المملكة العربية السعودية ومفهوم الديمقراطية في سياسة الملك فيصل ، وقرروا صك ميدالية ذهبية باسم رجل السلام فيصل بن عبد العزيز لتقدم الى جلالته مع دبلوم البروفسورا في العلوم البسيكولوجية •

هناك في عالم الغرب رفع الفيصل مكانة امة العرب •• وللتاريخ نقول ان مملكة الفيصل هي الوحيدة في الشرق التي نجحت في تطبيق منهج اصلاحي تطويري استنبط من واقعها ، وكان حصيلته تحقيق نهضة حديثة في ظل نظام روحي أجتماعي اخلاقي • وهذا النظام يعتبر مثاليا في عصر تتساقط فيه القيم الانسانية تحت كابوس المدنية المادية مصدر البؤس والفساد والدمار الحضاري •

لقد غاب الفيصل بعد ان خلف للعرب ثروة تاريخية ، وترك دولة قوية محترمة في الشرق والغرب • وسوف تستمر المسيرة التاريخية في مملكة التاريخ حيث القوى الروحية والوحدة الوطنية وتضامن الاسرة المالكة والوعي ونقاوة العروبة الاصيلة تشكل البنيان الشامخ للدولة السعودية الفتية في نهضتها الحديثة والقديمة في جذورها التاريخية التي يعود امتدادها من القرن الثامن عشر الى يومنا هذا ••